عُمان فى التاريخ

من أقدم العصور حتى الآن

للدكتور أحمد شلبى

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقـــديم :

فى عمان يلتقى الماضى المجيد بالحاضر المشرق ، فعمان ابان العصور القديمة كانت مركز حضارة فائقة ، وكان الملاح العمانى والتاجر العمـانى نموذجاً يحاول ملاحو العالم وتجاره أن يحتذوا حذوه ، وأن يسيروا على منواله ، وعمان الحديثة تَجدَّد نشاطها ولمع بريقها بالدفعة الهائلة التى قام بها السلطان العظيم سليل السلاطين ووارث عرش الأمجـاد « السلطان قابوس المعظم » فالتقى الماضى بالحاضر ، وتهيأت بذلك عمان لتقـــوم بدور هائل فى المستقبل .

موقع عمان على خريطة الجزيرة العربية :

تقع عمان فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرةالعربية ممتدة شمال بحر العرب ، وعلى طول خليج عمان حتى امارة الفجيرة احـدى امارات دولة الامارات العربية ، وبعد امارة الفجيرة توجد منطقة تابعة لعمان أيضا وهى منطقع مسندم وتقع على مضيق هرمز .

وتقع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الى الجنوب الغربى من عمان . وتقع المملكة العربية السعودية فى الجهة الغربية منها ، كما تقـع دولة الامارات العربية فى الناحية الشمالية الغربية منها .

وعمان تطل على البحر من جهة ، وتطل على الصحراء من جهة أخرى ، ومن هنا يمكن تقسيم سكانها الى طائفتين متميزتين هما الحضر والبدو ، والحضر هم الذين يسكنون الساحل ، وهم أشد اتصالا بالعالم الخارجى ، أما البدو فيعيشون فى المناطق الداخلية ، وهم شديدو المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم [١] .

---

(١) عمر رضا كحاله : جغرافية شبة جزيرة العرب ص ٤٤٣ .

ومساحة عمان حوالى مائة وعشرين ألف ميل مربع ، وهى مساحة انجلترا تقريبا ، وعدد سكان عمان حوالى مليونين ، وهو عدد أقل مما تستوعبه هذه البلاد الفسيحة كثيرة الخيرات .

والخريطة التالية توضح موقع عمان فى الجزيرة العربية :

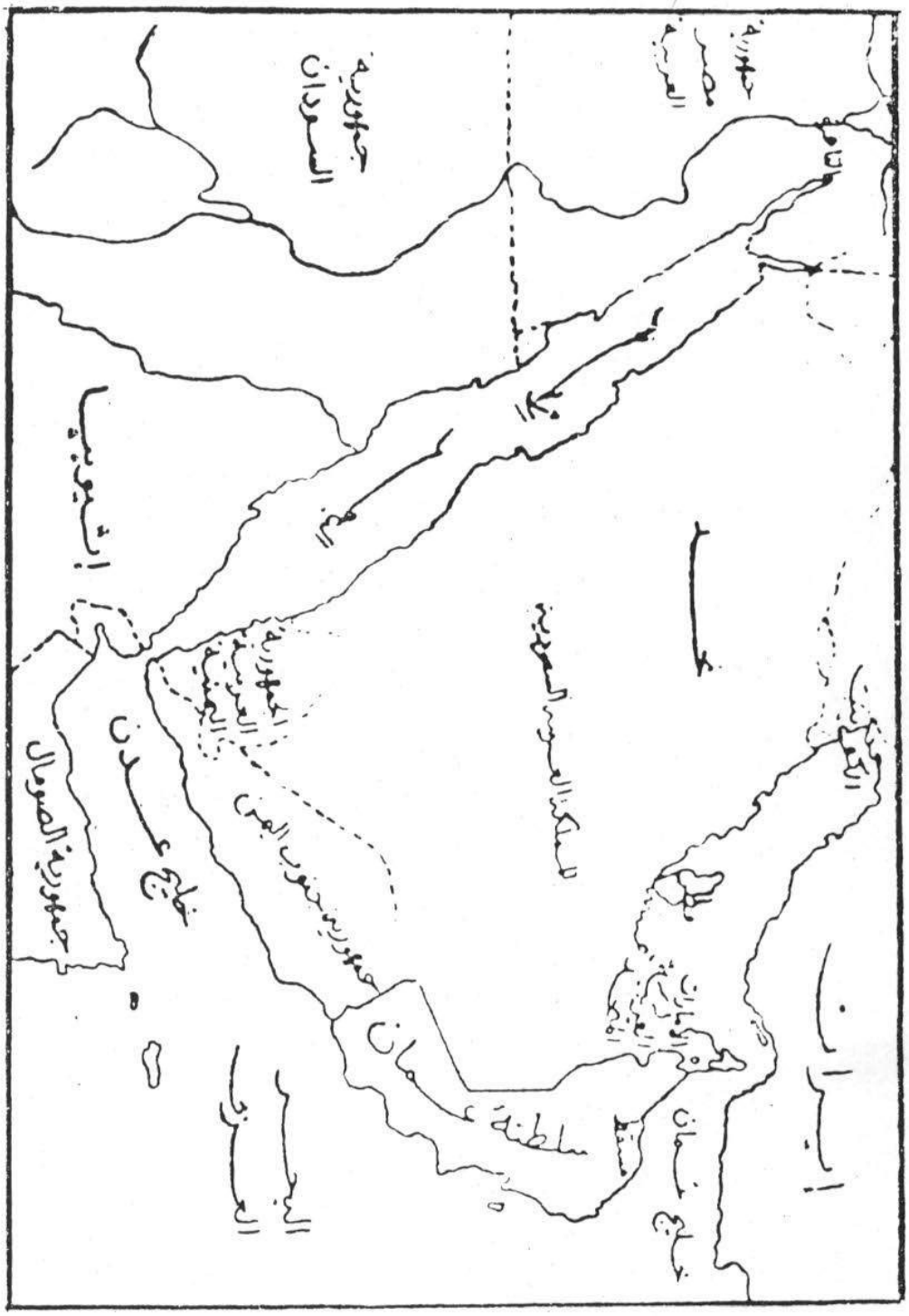

سلطنة عمان : موقعها فى الجزيرة العربية

مقاطعـــات عمـــان :

تنقسم عمان الى عدة مقاطعات هى :

ـ مقاطعة الباطنة التى تطل على خليج عمان الى الشمال من مسقط ، وهى سهل خصيب •

ـ المقاطعة الداخلية ، وهى مقاطعة فسيحة ، تضم الجبل الأخضر ، كما تضم المناطق المحيطة بهذا الجبل والتى توجد بها العواصم القديمـــة والمدن الشهيرة مثل نزوى والرستاق وسمايل ، وفى الجبل الأخضر توجد أهم أنواع الفاكهة ، وتشمل هذه المقاطعة منطقة الظاهرة ، وسميت بذلك لأنها أول ما يظهر من سلطنة عمان للوافد من الجزيرة العربية ، ومنطقة الظاهرة أرض جبلية تتخللها الواحات والسهول الخصبة والوديان التى تعتبر مصدرا مهما من مصادر المياه فى الصحراء •

ـ ومقاطعة جعلان ، واسمها مشتق من اسم سكانها القدامى ، وأهمها بلاد بنى بو حسن وبو على وصور •

ـ والمقاطعة الجنوبية المســـماة « ظفار » وتتألف من سهل ساحلى منبسط تحاذيه الجبال •

ويفصل بين مراكز العمران الرئيسية حواجز طبيعية تتمثل فى سلاسل الجبال الشاهقة ، وأهمها سلاسل جبال الـحَـجْـر التى تمتد من الحجر الغربى الى الحجر الشرقى ويفصل بينهما وادى ســمايل الذى يعتبر الطــريق الرئيسى بين الســاحل وبين المناطق الداخلية ، وفى جبال الحجر الغربى تقع منطقة الجبل الأخضر التى تعتبر أعلى القمم فى سلسلة تلك الجبال ، اذ يصل ارتفاعها الى اثنى عشر ألف قدم ، ويمكن مشاهدتها على بعـــد مئات الأميال من البحر •

وهناك مجموعة من الجزر تتبع سلطنة عمان وهى جزر كوريا موريا

« الحلانيات » وهى تقع فى بحر العرب مواجهة لمقاطعة ظفار ، وجزيرة « مصيره » وهى تواجه مقاطعة جعلان ، وجزيرة الغنم ، وتقع عند مدخل مضيق هرمز •

وعلى هذا يمكن القول بأن عمان تحتـــل أقصى الزاوية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، وتلتف حولها مياه المحيط الهندى وخليج عمان ، وتكمل الصحراء العربية حركة الالتفاف حولها من الجهة الغربية ، ومن الطبيعى أن هذا الموقع له أهميته العظمى من النـــاحية الاستراتيجية ومن الناحية الجغرافية كما سيتضح فيما بعد •

تسمية عمـــان :

ان دولة عمان مرّت بهـــا تسميات متعددة ، فقـــد سميت « مجان » أى مراكز بناء السفن ، وسميت « مزون » أخـــذا من المزن وهو انهمـــار المياه وتدفقها ، ولعل ذلك راجع الى ما تمتاز به هذه البـــلاد من أفـــلاج وأمطار ، ويقال ان الفرس هم الذين أطلقوا هذه التسمية على البـــلاد ، ويروى فى ذلك قول الشاعر : « ان كسرى أسمى عمانا مزونا » [١] ولكن ارتباط التسمية بالكلمة العربية « المزن » أوضح وأدق •

وقد وردت « مزون » فى المسعودى بالراء المهملة [٢] ولعل الاعجام أشـــهر :

ونقل السالمى أن قبيلة الأزد اليمنية التى هاجرت الى عمان بعد حادثة سيل العرم سنة ١٢٠ ق•م الذى سبب انهيار سد مأرب هى التى أطلقت على هذه المناطق اسم « عمـــان » اذ كان هؤلاء يعيشون فى واد قـــريب من مأرب يدعى « عمان » فسموا الموطن الجديد باسم موطنهم الأصيل[٣] •

---

(١) انظر كشف الغمة الجامع لأحكام الأمة لأحد علماء الاباضية ص ٣٢ •
(٢) مروج الذهب ج ١ ص ٩١ •
(٣) تحفة الأعيـــان ج ١ ص ٥ •

مقاطعات سلطنة عمان

ولما انتقلت عاصمة البلاد من الداخل الى الساحل واختيرت مسقط لتكون العاصمة سميت البلاد سلطنة « مسقط وعمان » ، فلما جاء عهد حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم أمر جلالته أن تسمى البلاد « سلطنة عمان » وأن تكون مسقط عاصمة السلطنة •

أهم المدن فى عمان :

وبمناسبة ذكرى مسقط العاصمة ينبغى أن نعطى بعض المعلومات عن هذه المدينة المهمة وأن نعرّف أيضا بالمدن المهمة بعمان ، ويقول المؤرخون عن مسقط انها تشتمل على كثير من خصائص السلطنة ، فهى تطل على البحر الذى يمتد امتدادا طويلا مع بلاد عمان ، وأن بها الجبال الشاهقة التى تنتشر فى عمان ، وتصلها طريق ملتوية الى « مطرح » وإلى أماكن الخصوبة داخل البلاد ، وعلى هذا فمسقط تتمثل فيها الخصوبة والبحر والجبال ، وتلك هى أبرز مظاهر الحياة فى عمان •

أما منظر مسقط من البحر أو الجو فهو منظر رائع اذ يمتد صف فوق صف من الجبال مسافات طويلة ، وتقبع فى الخليج الصغير الذى يلتقى عنده البحر بالجبال مدينة مسورة تطل عليها قلعتاها القديمتان ، وقلما يوجد ركن فى مسقط لا يمكن منه رؤية هاتين القلعتين ، ولم يكن القصد من بناء مدينة مسقط قديما أن تكون صالحة للسيارات على الاطلاق ، ومازال السير على الأقدام فى أنحائها هو الطريقة الواقعية الوحيدة التى يمكن بواسطتها التعرف عليها •

على أن مسقط لم تكن دائما عاصمة عمان ، فقد ذكر الاصطخرى أن قصبة عمان هى صُحار ، وذكر أنها على البحر وبها متاجر ومرفأ للمراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان ، وأكثرها مالا ، ولا تكاد توجد على شاطىء الخليج مدينة أكثر عمارة ومالا منها [1] ويقول ابن حوقل عن صحار انها قصبة

---

(١) المسالك والممالك ص ٢٥ .

عمان وتقع على البحر ، وبها من التجارة والتجـار مالا يحصى كثرة [١] ، ومن البلاد التى كانت عواصم لعمان كذلك « بهـلاء ونزوى » وكانتـا عاصمتين لعمان قديما ، وأحيانا كانت العاصمة هى مدينة « الرسـتاق » أو مدينة « ازكى » .

وفى عمان مدن كثيرة شهيرة ، يحمل بعضها آثار الماضى ومظاهره ، ودرج بعضها فى طريق المدنية والحضارة الحديثة فتلألأت به الأنوار ، وظهرت المبانى الضخمة ومظاهر المدنية المختلفة ، ومن هذه المدن مدينـة « مطرح » وهى تقع على بعد ميلين من مسقط ، وبها ميناء قابوس الجديد الذى أعد أعظم اعداد فجذب اليه النشاط البحرى ، واتجهت له السـفن من مختلف البقاع ، وقد ظلت هذه المدينة عدة قرون الميناء الذى يصـل بين عمان والعالم الخارجى واسمها مأخوذ من طرح أى حط الرحال ، وأهم معالمها « سورها التاريخى العظيم » وهو يضم منطقة مسورة داخل المدينة ، وسكانها جماعة من التجار المهرة الذين لهم سمعة كبيرة فى مجال التجارة .

ومن المدن الشهيرة فى عما ن مدينة « قلهات » التى زارها ماركوبولو فى أواخر القـرن الثالث عشر ، ورآها كذلك الرحـالة العربى ابن بطوطة ، وهى تبعد عن مسقط بحوالى ٨٢ ميلا إلى الجنوب الشرقى .

ومن المدن الشهيرة مدينة صُور ، وقد زارهـا ابن بطـوطة أيضـا وكانت فى يوم من الأيام الميناء الرئيسى فى عمان ومركزا للتجـارة مـع ساحل أفريقيا الشمالى ، وكان سكانها من البحارة والتجـار ، مما يوحى بارتباط بينها وبين مدينة صور الفينيقية .

ويقول الشيخ سالم بن حمود بن ساسى السيابى : وجاء فى بعض الرسومات التاريخية أن « صور » هى احدى مدن الخليج التى استوطنها الفينيقيون وربما بنوها ، وما إن هجروا الخليج إلى البحر المتوسط لسبب

---

(١) صـورة الأرض ص ٤٤ .

أشهر المدن فى سلطنة عمان

من الأسباب حتى أنشأوا لهم هناك مدينة أطلقوا عليها الاسم نفسه ، وأهل صور كالفينيقيين لهم مهارة فى الأسفار البحرية ، ولهم بها ولع ، وهم أهل علم بأحوال البحر [١] .

ومن المدن المهمة بالداخل مدينة عبْرى وهى أكبر مدن مقاطعة الظاهرة وهى مركز منطقة كانت فى وقت من الأوقات منطقة زراعية مهمة .

ومن المدن المهمة « الرستاق » التى كانت عاصمة لعمان فى الماضى ، وهناك بلدتان تشبهانها ، ولكنهما أصغر منها قليلا هما « العَوابى » و « نَخَل » وهذه المدن الثلاث تسيطر على ممرات الجبل الأخضر ، وتقع العوابى بين « نخل » و « الرستاق » وفى كل منها نبع يتدفق من سفح الجبل ، وقد زارها الكولونيل « مايلز » وكتب عنها كتابة رائعة .

كما تشتهر المنطقة الجنوبية بمدينة من أعظم مدن عمان التاريخية هى مدينة صلالة التى تمتاز بآثارها العريقة ومناخها الجميل وزراعاتها الفينانة وحدائقها الغناء ، وتعتبر صلالة عروس المقاطعة الجنوبية ظفار حيث السهل الأخضر السندسى وحيث الجمال الطبيعى الخلاب بين الخضرة والمياه .

صورة عمان بصفة عامة

لو أردنا أن نرسم صورة بالقلم لعمان لقلنا إنها بلاد تكثر بها المفارقات ، فهى قمم شاهقة تطل على وديان منحدرة ، وصخور جرداء ، بجوار سهول البساتين والبيارات ، وبحر زاخر من جانب ورمال مترامية بلا نهاية من جانب آخر ، وشعبها تبعا لذلك يشتغل بالرعى والزراعة كما يعمل فى صيد الأسماك ، ولكن بحر العرب وخليج عمان والواقع الاستراتيجى قدمت لشعب عمان مهمة أخرى هى السفارة التجارية ، فعمان

---

(١) سالم بن حمود بن ساسى السيابى : العنوان فى تاريخ عمان .

تسيطر على أقـدم وأهم الطرق التجـارية البحرية فى العـالم ، وهو الطريق البحرى بين الخليج والمحيط الهنـدى ، وقد استغل أهل عمـان هذا الموقع البحرى أعظم استغلال ودرسوا اتجاهات الرياح أعمق دراسة ، وراحو بسفنهم الشراعية تدفعهم الرياح الموسمية عبر بحر العـرب الى الهند ثم الى ما بعد الهند من أقطار ، وهنـاك كانوا يبيعون ما يحملون من سلع تحتاجها هذه البلاد ، ويجمعـون من منتجاتهـا ما يملئون به سفنهم ، وينتظـرون حتى موسم هبوب الرياح العاكسة التى تدفعهم فى رحلة العـودة الى عمان ومن عمان يبدءون رحـلة جديدة داخل الخليج حتى حوض دجلة والفرات ..... وكان ذلك هو طابع الحياة لتلك البلاد فى العصور القديمة والوسيطة .

ويقول المؤرخون الغربيون أن موقع عمان الجغرافى كفل لعمان أهمية خاصة لأنها تحتل مركزا مهما بالنسبة للطرق الواصلة الى الهند وافريقيـة والبحر الأحمر ، كما أن الرياح الموسـمية كانت خـير وسيلة للعمانيين ليزاولوا هذه التجارة بين هذه المناطق .

اقتصـــاد عمـــان

وبمناسبة الحديث عن التجارة البحرية التى كانت عمان تقوم بهـا خلال قرون طويلة مضت ، نقرر أن هذه التجارة كانت وسيلة ربح وفـير للعمانيين ، ليس فقط للذين يزاولون التجـارة ، بل لعدد كبير غـيرهم ، كالذين يعملون فى بناء السفن ، ويقومون بشحنها أو تفريغهـا وكأولئك الذين كانوا يحرسـون المخازن التى تودع فيهـا البضائع الى أن تجىء السفن .....

وهكذا شهدت الموانى العمانية حركة تجارية نشطة للغـاية ، وكان

نشاط العمانيين أبرز نشـــاط ملاحى فى المحيط الهندى قبل أن تظهر السفن التجارية الكبيرة ، واستتبع هذا النشاط أن قام أبناء عمان بدور واســع فى انشاء عدد من المدن البحرية على امتداد شواطىء افريقية الشرقية ، كما اتخذوا مراكز لهم فى المدن الساحلية التى كانوا يفدون لها على طول المحيط الهندى وحتى شواطىء الصين .

وتقرر المراجع العمانية أن عمان كانت فى النصف الثانى من القــرن الثامن عشر تملك أسطولا من السفن يقدر بنحو خمس عشرة سفينة من الطراز الغربى المربع الهيكل ، وثلاث سفن كبيرة ، ونحو ٢٥٠ ســفينة شراعية أغلبها من سفن الشحن الكبيرة الحجم والحمولة ، الى جانب مائة سفينة أخرى تزاول مختلف ألوان النشاط الملاحى ، وكانت السفن الكبيرة من هذا الأسطول التجارى تربط بين ميناء مسقط وميناء زنجبار من جانب ، وبين مسقط وكلكتا وجاكارتا من جانب آخر (١) .

وكانت عمان تزاول هذا النشاط التجارى من أقدم العصور ، ولما اقتحم البرتغاليون عمان اتجه نشاط العمانيين لمصارعتهم ، وما إن أجلى العمانيون البرتغال عن بلادهم فى النصف الأول من القرن السابع عشر حتى ورثوا معاقلهم ، وورثوا الخطوط البحرية التى كان البرتغاليون يزاولون فيهــا نشاطهم ، وفرضوا سيطرتهم على ضفتى خليج عمــان ، وامتد سلطانهم قويا عزيزا الى ساحل افريقية الشرقية .

وهكذا كانت التجارة مصدر رزق وفير لأبناء عمان طيلة عدة قرون .

وبالاضافة الى التجــارة كانت الزراعة مصــدرا مهما من مصــادر الاقتصاد العمانى ، بل انها كانت المصدر الرئيسى الذى يعمل فيه حوالى ٨٠ ٪ من أهل البلاد ، وقد ســاعد على نشاط الزراعة فى عمان أن بهــا

---

(١) عمــان الماضى والمستقبل ص ١٩ — ٢٠ .

مساحات واسعة من الأراضى الخصبة ، كما أن بها بعض الواحات التى تكثر بها أنواع الفاكهة ، ويبرز فى الحديث عن الزراعة بعمان منطقة الباطنة الساحلية ، ووادى سمايل حيث توجد المساحات الخصبة والماء الوفير ، وتنتج أرض عمان الحنطة والشعير والخضروات وقصب السكر ، كما تكثر بها فواكه المناطق الاستوائية كالمانجو والرمان والجوز ، وينمو العنب فى منطقة الجبل الأخضر ، وتكثر أشجار جوز الهند فى مقاطعة ظفار ، كما تكثر أشجار النخيل فى الواحات ، وهى تنتج أنواعا متعددة من التمور تصل الى مائتى نوع •

وفى الحديث عن الانتاج الزراعى بعمان لا يمكن أن ننسى الأفلاج أى الينابيع الأرضية التى تكثر فى الجبال وفى الصحارى ويتدفق منها ماء عذب يروى مزارع النخيل الفسيحة ، كما ينبت به أنواع من الحبوب ، ولهذه الأفلاج دراسة سيطالعها القارىء ضمن بحوث الندوة •

ويتصل بالانتاج الزراعى تربية الحيوانات ، وتتنوع هذه الحيوانات بتنوع المناطق فى عمان ، فالقبائل فى الصحراء تهتم بتربية أجود أنواع الجمال ، وتكثر الأغنام فى مناطق الرعى الجبلية ، ويوجد البقر فى مقاطعة الباطنة ، وتكثر الجياد العربية فى مقاطعة الظاهرة •

ومن مصادر الاقتصاد العمانى الثروة السمكية ، اذ تمتد سواحل عمان مساحات طويلة على المحيط الهندى وخليج عمان ، ويقدر طول الشاطىء العمانى بـ ١٥٠٠ كيلو متر ، وقد اتجه الأهالى منذ عهد طويل الى اتخاذ صيد الأسماك حرفة مهمة يعتمدون عليها فى الطعام والتجارة ، كما يقومون بتجفيف الأسماك أحيانا ثم سحقها لاستعمالها سماداً أو غذاء للحيوان ، وساعدهم على ذلك أن الساحل العمانى من أغنى البحار من حيث كثافة الأسماك وتنوعها ، اذ تشمل سمك « التن » و « المازلين » « والقرش »و « السردين » وغيرها من الأنواع ، ويستعمل صيادو

الأسماك القوارب والشباك وغيرها من الأنواع البدائية والمتطورة لتحقيق أهدافهم فى صيد الأسماك •

ولعمان حماسة لتصبح الصناعة مصدرا من المصادر الاقتصادية بها ، وتدل البحوث على أن بأرض عمان مناجم للنحاس والفضة ، ومن الممكن أن تحقق هذه الحماسة الخير الوفير للبلاد ، وقد بدأت فعلا نتائج هذا الاتجاه •

ومن أكبر مصادر الثروة بعمان فى الوقت الحاضر البترول الذى انبثق فى منتصف العقد السابع ، وبدأ تصديره سنة ١٩٦٧ ، وقد فتح لعمان بابا واسعا من أبواب الخير يرجى أن يكون باب ثراء وبركة •

جولة تاريخية عن عمان

لمحة عن التاريخ القديم :

يتجه كثير من الباحثين الى أن الحضارة البحرية الأولى ظهرت على مياه الخليج ، وأن هذه المنطقة جذبت لذلك جماعات الوافدين عبر البحر أو عبر الصحراء غزاة أو تجارا أو نازحين •

وبجانب الحضارة البحرية القديمة تدل الآثار على حضارة زراعية قديمة ارتبطت بمناطق الخصب والمياه فى عمان ، وتدل عليها القنوات والسدود التى لا تزال آثارها واضحة للعيان •

وهناك مظاهر حضارية من الفخار ، والأدوات الحجرية ، ومن نظام الرى ، والأسلحة ، تدل على أن عمان كانت جزءا من الحضارة التى شملت مع عمان منطقة بلاد فارس وامتدادها الى أفغانستان وغرب الهند فى القرن الثالث قبل الميلاد [1] •

---

(1) Arian's History of Alexander's Expedition vol. I p. 108.

سكان عمان :

سكان عمان يرتبطون بأصول عربية عريقة ويقرر التاريخ أن السواد الأعظم من أهل عمان يرتبط بهجرتين عربيتين كبيرتين ، أولاهما هجرة منذ زمن سحيق من قلب الجزيرة العربية الى جبال عمان وشواطئها ، وقد وفد هؤلاء المهاجرون بسبب الجفاف فى نجد وما حولها ، بحثا عن أرض خصبة ، أو بحثا عن الماء ولا يعرف بالضبط تاريخ هذه الموجة من المهاجرين ويغلب أن يكون هؤلاء قد وفدوا على عدة دفعات ، وينتسب هؤلاء الى قبائل نزار ، ويعرفون بالنزاريين •

وأما الهجرة الثانية فقد وفدت من الجنوب الغربى للجزيرة العربية ، أى من مناطق اليمن ، وارتبطت هذه الهجرة بانهيار سد مأرب سنة ١٢٠ ق •م• وقد بدأت هذه الهجرة مع بدء الانهيار فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وظلت تتوالى كلما تعرض السد الى مزيد من التصدع حتى كمل هذا التصدع فى نهاية القرن السادس الميلادى ، وبهذا تكون الهجرات اليمنية الى عمان قد استغرقت ثمانية قرون ، ويعرف هؤلاء الوافدون باليمنيين أو القحطانيين ، ويقال أن احدى موجات اليمنيين كانت بقيادة نصر بن الأزد ، وأن موجة أخرى يمنية كانت بقيادة مالك بن فهم وهو أيضا من بنى أزد •

وبالاضافة الى عرب الشمال وعرب الجنوب الذين يكونون العنصر الرئيسى فى عمان توجد بعمان جماعات أخرى وفدت على عمان من خارج الجزيرة العربية ، واستقرت بها ، وأصبحت عمانية الجنس ، عربية اللسان ، تدين بالاسلام •

عمان الاسلامية

فى عهد الرسول :

عندما جاء الاسلام كانت أكثر مناطق عمان تحت حكم أسرة الجلندى الأزدى ، وقد اشتهر من هذه الأسرة شخص عظيم هو « جيفر » وكان

ينزل من قومه منزلة الملوك بين الرعية ، فبعث اليه الرسول عمرو بن العاص بن وائل السهمى فى العام السابع للهجرة بكتاب يدعوه هو وقومه الى الاسلام فى نفس الوقت الذى كتب فيه الرسول بذلك الى الملوك والرؤساء فى الجزيرة العربية وخارجها ، وقد أورد أبو عبيدة نص كتاب الرسول الى ملك عمان مع ما أورد من نصوص لكتب الرسول الى الملوك والرؤساء[١] ، ويذكر الخثعمى السهيلى أن من الملوك من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم كملوك اليمن وملك عمان[٢] ، وقد أسلم مع ملك عمان وجوه العشائر وبقية الناس .

ولم يكتف جيفر بإسلامه ، وإنما أرسل من قبله رسلا تحمل دعوة الإسلام إلى مهرة وغيرها من المناطق المجاورة لعمان ، وقد استجاب أكثر العرب فى هذه المناطق إلى الدعوة الجديدة ، ولكن الفرس الذين كانوا يقيمون بها رفضوا دعوة الإسلام ، فاجتمع الأزد إلى جيفر وقالوا له : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراجهم ، فدعا جيفر مرازبة الفرس وقال لهم : اما أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تخرجوا من أرض العرب ، فرفضوا الاستجابة لأى من هذين الاتجاهين مما سبب صراعا شديدا بين الجماعتين ، كان النصر فيه لأهل عمان ، واضطر المرازبة أن يطلبوا الصلح ، وتم الصلح على أن يخرج الفرس من عمان بأنفسهم وذراريهم ، وعقب ذلك خلت عمان من الفرس تقريبا .

وأقام عمرو بن العاص عاملا على عمان من قبل الرسول فكان يجمع الصدقات ويوزعها ، ويعلّم الناس مبادىء الاسلام ، ويقضى بينهم حسب تعاليم الدين الجديد ، وكان زعماء الأزد من بنى الجلندى عونا له فى أداء مهمته ، وقد ظل كذلك حتى جاءت الأنباء بوفاة الرسول صلوات الله عليه ، فعاد عمرو الى المدينة ومعه عبد الله بن الجلندى وبعض بنى أزد ، وألقوا زمام الأمر الى أبى بكر ليختار من يراه ليكون واليا على البلاد .

---

(١) الأموال لأبى عبيد ص ٢٠ — ٤٢ .
(٢) انظر الروض الآنف حـ ١ ص ٢٥٠ .

ويقرر المفكرون العمانيون أن الاسلام استطاع أن يوحد القوى القبلية فى عمان تحت لوائه ، فقد منحها شخصيتها الدينية كما أمدها بنظام سياسى وتشريعى أقامت عليه دعائم مجتمعها •

عمان فى عهد الخلفاء الراشدين :

يذكر السالمى[1] أن أبا بكر استقبل عمرو بن العاص ووفد عمان بترحاب وتقدير ، وأن أبا بكر قال لهم : انكم يا معشر أهل عمان أسلمتم طوعا ، فجمع الله على الخير شملكم وبعث الرسول صلوات الله عليه لكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه اذ دعاكم مع بعد داركم ، وأطعتموه اذ أمركم على كثرة عددكم ، فأقام فيكم عمرو مكرما ما أقام ، وكنتم على خير حال حين أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه••• وأقر أبو بكر جيفر وأخاه عبدا على ملكها ، وجعل على الصدقات حذيفة بن محصن •

وفى عهد عمر عين على صدقات عمان عثمان بن أبى العاص وهو الذى أغرى عمر أن يعبر الخليج الى بلاد فارس ، وظل جيفر وأخوه عبد يقومان بعملهما الى أن ماتا فى عهد عثمان ، فتولى السلطان بعدهما عباد بن عبد الجلندى ، وأقره عثمان على ذلك ، وظل على حاله تلك طيلة عهد عثمان وعهد على كرم الله وجهه •

عمان فى العصر الأموى :

عندما قامت الدولة الأموية هبت فى عمان حركة مناهضة لها ، اذ كانت مشاعر العمانيين مع الامام على كرم الله وجهه ، واشترك فى حركة المقاومة السكان الأصليون وزعماء الاباضية الذين كانوا قد وفدوا الى عمان ، ونشروا

---

(١) تحفة الأعيان : ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

بها مذهبهم ، وتوثقت بها صلاتهم ، وقد وجد أهل عمان فى ذلك فرصة لاعلان استقلالهم عن الحكم المركزى ، وهذا الاتجاه الاستقلالى واضح فيهم عبر التاريخ وساعدهم عليه مكان بلادهم النائى ، وانشغال الخلافة الأموية بكثير من المشكلات ، ثم ان طبيعة عمان الجغرافية تجعل الاتصال بها والتغلغل بداخلها أمرا عسيرا ، وعلى هذا فان أية حركة انفصالية بعمان تجد أمامها فرصة معقولة للنجاح[١] وعلى هذا أصبح أمر عمان كما يقول السالمى[٢] — بيد أهلها ، ولم يكن لمعاوية ، ولا لمن بعده نفوذ فى عمان حتى عهد عبد الملك .

وفى عهد عبد الملك تغيرت الأمور ، فقد أصبح الحجاج صاحب السلطة فى أرض العراق ، ومن هنا تطلع الى الخليج ، وبالتالى الى أرض عمان ، ورأى أن نفوذه بالعراق لا يتم الا اذا امتد هذا النفوذ الى الخليج العربى وخليج عمان ، ومن هنا قام صراع طويل بين أهل عمان وبين جيوش الحجاج ، وانتصر الحجاج فى نهاية الأمر ، وفر زعماء أسرة الجلندى من وجه الحجاج الى بلاد « زنجبار » واضعين أساسا لصلة طالت وامتدت بعد ذلك بين عمان وساحل افريقيا الشرقى ، واستعمل الحجاج على عمان الخيار بن صيره المجاشعى ، وعندما آل الأمر الى الوليد بن عبد الملك عين هذا سيف الهمدانى واليا على عمان ثم عين سليمان بن عبد الملك على عمان صالح بن عبد الرحمن الليثى ، وبعده زياد بن المهلب بن أبى صفرة .

واتجه عمر بن عبد العزيز وجهته الاسلامية ، فعين واليا صالحا هو عمر بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن السيرة بين الناس ، ومن أجل هذا ظل مكرما محبوبا بين أهل عمان حتى وفاة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، وحينئذ تنحى هذا الوالى عن الولاية ، وأعاد السلطة لزياد بن المهلب قائلا له : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها . وخرج عمر بن عبد الله من عمان ، وقام بالولاية زياد بن المهلب[٣] .

---

(١) سلطنة عمان ص ٣٣ بتصرف .
(٢) تحفة الأعيان حـ ١ ص ٥٧ .
(٣) السالمى : تحفة الأعيان حـ ١ ص ٥٩ .

عمان فى العصر العباسى :

كان ارتباط عمان بالخلافة العباسية قصير المدى ، وسرعان ما استقل أهل عمان بعدها بشئونهم ، ويذكر المؤرخون العمانيون أنه لما آل الأمر لبنى العباس وولى السفاح أخاه أبا جعفر شئون العراق الجنوبى استعمل هذا على عمان جناح بن عباد بن قيس بن عمر الهنائى ، فقدم الى عمان عاملا عليها ، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح بصحار ، ثم عزله المنصور وولى ابنه محمد بن جناح ، وكان هذا سمحا عاقلا أدرك رغبة العمانيين فى أن يكون واليهم منهم ، وأن يكون لهم حق انتخابه بأنفسهم ، فوافقهم على ذلك ، فعقدوا الامامة للجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى، وبدأت به الامامة فى عمان سنة ١٣٥هـ[1] .

عمان والمذهب الاباضى :

ان تفاعلا دقيقا حدث فى عمان بين الأمانى الوطنية ، وبين المذهب الاباضى وكان المذهب الاباضى قوى الصلة بمذهب أهل السنة وقد قام الاباضيون فى عمان بدور واسع فى الصراع العسكرى ضد النشاط الأموى ، ومن هنا امتزجت الحركة الاستقلالية العمانية بالفكر الاباضى . وانبثق عن هذا الامتزاج فكر جديد هو الذى ساد عمان منذ ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر . ومن هنا حق لأهل عمان أن يكرهوا أن يقال عنهم أنهم خوارج ، ومما جعلهم يكرهون أن يسموا خوارج أنهم لا يريدون أن يرتبطوا بجماعة خرجوا على الامام على كرم الله وجهه ، ويفضلون أن يرتبطوا بعبد الله بن اباض الذى خرج على عبد الملك بن مروان ، ثم انهم من ناحية المذهب لم يأخذوا اتجاه الخوارج ، بل كانوا معتدلين جدا ، واعتبروا أنفسهم ورثة للفكر الاسلامى الأصيل الذى جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول ، وتبعه الخلفاء الراشدون من بعده .

---

(١) تحفة الأعيان للسالمى حـ ١ ص ٧٤ ، ٨٩ ، ٢٠٦ — ٢٠٨ .

وجاء فى كتاب سلطنة عمان[1] ما يلى عن الامتزاج بين المذهب الاباضى والدم العمانى : كان المذهب الاباضى هو النبراس الذى أضاء قلوب العمانيين ، ووحد بينهم فى كفاحهم لنيل استقلالهم وكان العمانيون فى هذا الكفاح يستبسلون فى الدفاع عن عقيدتهم وتقاليدهم .

عصـــور الحـــكم فى عمـــان
عبر التاريخ الاسلامى

١ ــ الأئمة الاباضية : ١٣٥هـ (٧٥٢م) حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، مع تسلسل حينا ، وانقطاع حينا آخر ، ومع ظهور آل نبهان الذين كونوا لهم ملكا عدة قرون ، ومع قيام أسر ملكية قصيرة العمر ، وحدوث تمزق فى بعض الأحيان مما مهد لاحتلال البرتغاليين لعمان سنة ٩١٣هـ = ١٥٠٧م .

٢ ــ عصر الاحتلال البرتغالى : من ٩١٣هـ = ١٥٠٧م الى سنة ١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م .

٣ ــ الأئمة اليعـــاربة : ١٠٣٤ ــ ١١٥٤هـ (١٦٢٤ ــ ١٧٤١م) مبتدئين بالامام ناصر بن مرشد الذى خلص البلاد من حكم البرتغاليين ، وفى آخر حكم اليعاربة خضعت بعض البلاد لنفوذ الفرس .

٤ ــ البوســـــعيديون : ١١٥٤هـ (١٧٤١م) حتى العهد الحاضر ، وهؤلاء هم الذين خلصوا البلاد من نفوذ الفرس .

وسنتحدث بايجاز عن كل من هذه العصور فيما يلى :

---

(١) المرجع السابق حـ ١ ص ٣٤ .

الأئمــة الاباضية

أول من يواجهنا من حكام عمان عقب الحركة الاستقلالية التى بدأت من مطلع العصر العباسى الأئمة الاباضية ، وكان هؤلاء ينتخبون بواسطة أهل العلم على أن يوافق الجمهور على الاختيار ، والأئمة الاباضية الأول هم :

جلندى بن مسعود بن جعفر بن جلندى الأزدى	من ١٣٥هـ
محمد بن عفان الأزدى	١٤٥هـ
الوارث بن كعب اليحمدى	١٨٥هـ
غسان بن عبد الله	١٩٢هـ
عبد الملك بن حميد الأزدى	٢٠٨هـ
مهنا بن جعفر اليحمدى	٢٢٦هـ
الصلت بن مالك الأزدى	٢٣٧هـ
راشد بن نضر (أو النظر)	٢٧٣هـ
محمد بن الحسن	٢٨٤هـ
عزان بن خضر	٢٨٥هـ
عبد الله بن محمد	٢٨٦هـ
عزان بن تميم	٢٨٧هـ
الصلت بن القاسم	٢٨٧هـ
محمد بن الحسن (للمرة الثانية)	٢٨٧هـ
الحسن بن سعيد[1]	٢٨٧هـ

---

(١) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى حـ ١ ص ١٩١ .

ونقف عند هذا الامام دون أن نتبع سياسة زامباور الذى راح يسرد بعد ذلك عددا من الأئمة دون أن يحدد تاريخا لتعيين أكثرهم ، أو يذكر نهاية حكمهم أو مداه .

وبعد هؤلاء الأئمة قفزت الى السلطة أسرٌ أقامت لها ملكاً فى عمان ومن هؤلاء :

أولا ــ أسرة بنى وجيه :

وقد قويت شوكة هذه الأسرة حتى تطلّع ملوكها الى السيطرة على البصرة أيام « البريدى »[١] الذى كان يشغل منصب أمير الأمراء ، وملوك بنى وجيه هم كما جاء فى رواية زامباور[٢] :

يوسف بن وجيه	٣٣٢هـ
نامع علام يوسف	٣٣٢هـ
محمد بن يوسف	٣٤٠هـ

ثانيا ــ ملوك آل نبهان :

ظهر ملوك آل نبهان ولاة للبويهيين فى عمان فى القرن الرابع الهجرى واستطاعوا أن يكون لهم النفوذ فى أكثر ربوع عمان ، ويقول السالمى عنهم[٣] ان المُلك انتقل الى آل نبهان وذلك لما أراد الله انفاذ أمره فى أهل عمان لأنهم افترقوا فرقتين ، فسلط الله عليهم قوما من أنفسهم ، وكانت دولة آل نبهان مبنية على الاستبداد بالأمر والظلم .

وأهم ملوك بنى نبهان هم أبو عبد الله محمد بن عمر بن نبهان واخوته

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٨ ص ١٣٠ حوادث سنة ٢٣١ .
(٢) معجم الأنساب : حـ ١ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٧ .

أبو الحسين أحمد ، وأبو محمد نبهان ، وأبو عمر معمر ، ثم أبو القاسم على بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان ، وأبو الحسن ذهل ابن عمر ... وقد ذكر زامباور[1] منهم الفلاح بن المحسن النبهانى ، وعرار بن الفلاح والمظفر بن سليمان ومخزوم بن الفلاح .

وقد ظلت حركة بنى نبهان حتى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) حيث عاد معظم النشاط الى الأئمة من جديد .

الأئمة خلال عهد آل نبهان وبعدهم

لم تنقطع محاولات انتخابات الأئمة بعمان بعد الحسن بن سعيد (٢٨٧هـ) ، فحتى خلال حكم آل نبهان ظهر بعض الأئمة الاباضية ، ولكن سلسلتهم لم تكن منتظمة ، ولم تكن تواريخهم محددة ، وأحيانا تعدد الأئمة فى وقت واحد ، وأحيانا خلت البلاد من وجود الأئمة تماما ، وفى بعض الأحيان ظهرت فترات يقظة ووحدة لبعض الأئمة ، ومن الأمة الجديرين بالذكر بعد الحسن بن سعيد نذكر :

الحوارى بن مطرف	٢٩٢هـ
عمر بن محمد بن مطرف	٣٠٠هـ
سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب	٣٢٠هـ
راشـــد بن الوليد	٣٢٨هـ
الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك	٤٠٠هـ
حفص بن راشـــد	٤٤٥هـ
راشـــد بن على	٥١٣هـ

---

(١) معجم الأنساب حـ ١ ص ١٩٤ ، وانظر كذلك تاريخ الدولة الاسلامية لأحمد السعيد سليمان حـ ١ ص ٢٣١ .

موسى بن أبى المعالى ٤٥٩هـ

محمد بن خنبش ٥٥٦هـ

ومن الواضح أن هناك فترات خلت من الأئمة فى عهد بنى نبهان ، ولكن عندما زالت دولة آل نبهان بدأ الأئمة يظهرون من جديد ، فى سلسلة متصلة تقريبا ، وقد أوردها زامباور كالآتى :

أبو الحسن عبد الله بن خامس بن عامر الأزدى ٨٣٩هـ

عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت اليحمدى ٨٥٥هـ

عمـــر الشريف ٨٩٦هـ

أحمـــد بن محمـــد ٨٩٧هـ

أبو الحسن بن عبد الســلام ٩٠٥هـ

محمد بن اسماعيل ٩٠٦هـ

بركات بن محمد بن اسماعيل ٩٣٦هـ

عبد الله بن الهنائى ٩٦٧هـ

بركات (للمرة الثانية) ٩٦٨هـ[1]

عمان هدف لعدوان خارجى

أسفر التمزق والخلاف بعمان عن استهانة الأعداء بها ، فأصبحت هدفا لعدوانين من الخارج ، وكان أولهما من بلاد فارس سنة ٦٧٤هـ فى عهد الملك عمر بن نبهان فقد هاجم أهل شيراز عمان وكانوا عددا من الفرسان الأشداء واستطاعوا أن يحتلوا نزوى وأن يسلبوا أموال الناس ، وحاصروا بهلاء ولكنهم لم يستطيعوا فتحها فارتدوا على أعقابهم بعد احتلال دام أربعة شـــهور .

---

(١) معجم الأنساب حـ ١ ص ١٤ .

أما الاحتلال الثانى فكان احتلالا أوربيا قامت به البرتغال فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى ففى القرن الخامس عشر استطاع الرحالة البرتغاليون ، أن يجدوا طريقا الى الهند بالدوران حول افريقية وبدون المرور فى البحر المتوسط والبحر الأحمر ، ويعرف الطريق الجديد بطريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اشترك عدد من البحارة البرتغاليين فى المحاولة التى أدت لهذا الكشف ، وكان النجاح النهائى على يد فاسكو دى جاما الذى بدأ رحلته سنة ١٤٩٦م[١] .

وبفتح هذا الطريق بدأ الاستعمار الأوربى للشرق فى العصر الحديث وتحولت تجارة الشرق من الطرق البرية ــ البحرية الى هذا الطريق البحــرى المتصل .

وبفتح هذا الطريق اتصل البرتغاليون بالهند وبالشرق الأقصى ، وأخذوا يبنون لأنفسهم ملكا واسعا على يد مستعمرين معروفين ، وقواد ذوى خطر من أمثال (كيرال و البوكرك Alfonso de Albuquerque) وأصبح المحيط الهندى والهادى تحت سلطانهم وكانت تلك البحار مقصورة على ملاحى المسلمين من عرب وفرس[٢] .

وحاول البرتغاليون أن يقيموا مراكز للتموين والحراسة على طول الطريق ، فاتجهوا بوجه خاص الى عمان التى كانت مركزا مهما ، وكانت فى الوقت نفسه تصلح لحماية الخط البرتغالى الى أبعد حد ، ومن هنا اتجه البرتغاليون الى عمان فاحتلوا صور وقريات ثم مسقط وصحار سنة ١٥٠٧م ، وكان البوكرك هو قائد الجيش البرتغالى الذى أسقط مدينة مسقط ، وسرعان ما اتجه هذا القائد الى تدمير سفن مسقط ومبانيها[٣] . واتجه المستعمر

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف حـ ٥ ص ٢١٣ .
(٢) حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ص ٤٣ .
(٣) محمد صبيح : مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ص ٤٦٧ .

لاقامة القواعد والقلاع هنا وهناك ليدعم مركزه ويقوى سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملاحى الممتاز[١] .

واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانى بشرقى افريقية لتكون محطات لسفنهم فى الذهاب الى الهند والعودة منها .

وحاول البرتغاليون الاستيلاء على الطرق البحرية البرية القديمة لتصبح جميع المنافذ التجارية فى أيديهم ، فاستولوا على خليج عمان وعلى جزيرة هرمز فى مدخل الخليج العربى سنة ١٥٠٧ ، ودمروا مدينة عدن وعقدوا محالفة مع الأحباش ضد مصر ، وكان من أساليبهم لضرب مصر أن يحاولوا تحويل مجرى النيل ، وعلى كل فقد كان صراعا صليبيا مريرا قادته آنذاك البرتغال ضد عدد من المواقع الاسلامية[٢] .

ولنعد للطريق الملاحى الجديد لنقرر أن المماليك المصريين لم يستطيعوا أن يتغلبوا على البرتغاليين وأن يعيدوا الأوربيين الى الطريق التقليدى القديم ، ولا استطاع ذلك السلطان سليم بعد فتح مصر[٣] وكانت المشكلة بالنسبة لعمان مزدوجة ، فلم تتوقف عند ضرب الاقتصاد بل امتدت الى احتلال الأرض ، ومن هنا اتجهت عمان لمصارعة الاستعمار الذى جثم على البلاد ، وكما يقولون ان المشكلة اذا استعصت على قوم خلقت القيادة الرشيدة ، وسنتحدث فيما يلى عن القيادة التى صارعت البرتغال وطردتهم من عمان وأعادت عمان الى الاستقلال والضوء :

---

(١) Stephan and Nandy Ronart : Arabic civilization p. 396.

(٢) شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامى حـ ٤ .

(٣) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ للمؤلف من ص ٢١٣ — ٢١٦ .

اليعـــــــــاربة

١٠٣٤ — ١١٥١هـ = ١٦٢٤ — ١٧٣٨م

قبيـــــلة اليعـــــاربة :

قبيلة اليعاربة من أصل أزدى ، فهى قبيلة هناوية جنوبية ، وكانت هذه القبيلة قبل ظهور الزعيم ناصر بن مرشد قبيلة عادية بين قبائل عمان ، فلما سقطت البلاد ضحية التفكك والانقسام فى الداخل ، والهجـــوم الاستعمارى من الخارج ، ظهر ذلك الرجل العملاق الذى دفع قبيلته الى القمة وقاد بلاده الى السلامة ، وكأنما كانت البلاد تنتظر ظهور القائد لتلتف حوله لينقذها مما ألم بها من ضيم ، فلما ظهر ناصر بن مرشد سرعان ما بدا فيه امتيازه ومواهبه واخلاصه للمهمة الكبرى التى كانت تنتظره ، وكان فى « الرستاق » حيث ظهر ناصر عالم تقى صالح اسمه الشيخ خميس بن سعيد ، وكان هذا الشيخ مسموع الكلمة ، فلما اجتمعت الحلبة لاختيار الامام قاد هذا الشيخ المناقشات والمشاورات ، فأجمع الكل على اختيار ناصر بن مرشد اليعربى اماما لعمان ، فبويع بالأمامة فى الرستاق سنة ١٦٢٤م وبه بدأت امامة بنى يعرب ، والأئمة اليعاربة هم :

ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك	١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م
سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك	١٠٥٩هـ = ١٦٤٩م
بلعرب بن سلطان بن سيف	١٠٧٩هـ = ١٦٦٨م
سيف بن سلطان بن سيف بن مالك	١٠٧٩هـ = ١٦٦٨م
(توفى سنة ١١٢٣)	
سلطان بن سيف بن سلطان	١١٢٣هـ = ١٧١١م
سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان	١١٣١هـ = ١٧١٨م
مهنا بن سلطان بن سيف	١١٣١هـ = ١٧١٨م
يعرب بن بلعرب	١١٣٤هـ = ١٧٢١م
سيف بن سلطان (للمرة الثانية)	١١٣٥هـ = ١٧٢٢م

محمد بن ناصر بن غافر	١١٣٧هـ = ١٧٢٤م
سيف بن سلطان (للمرة الثالثة)	١١٤٠هـ = ١٧٢٧م
سلطان بن مرشـــد	١١٥١هـ = ١٧٣٨م
الى سنة ١١٥٤هـ = ١٧٤١م[1]	

وسنتكلم فيما يلى عن أشهر الأئمة اليعاربة :

الامـــام ناصر بن مرشـــد

كانت بيعة الامام ناصر بن مرشد عودة للفكر الاباضى المتأصل فى عمان ، وقد وجد ناصر أن أمامه مشكلات كبرى ليعيد البلاد الى الوحدة ، حتى يستطيع أن يواجه الغزاة الأوربيين ، ومن أبرز هذه المشكلات الملوك الذين كان كل منهم يحكم فى منطقة من مناطق عمان ، ومن أبرزهم خمسة كانوا يحكمون فى الرستاق والنخل وسمائل وسمد وأبرا ، كما كانت بعض الحصون والمدن فى قبضة عدد من رؤساء القبائل ، أما البرتغاليون فكانوا يحتلون مسقط وغيرها من المناطق الساحلية كما ذكرنا من قبل ، كما كانوا يحتلون جزيرة هرمز حتى سنة ١٦٢٢م ، وكانوا كذلك يمدون نفوذهم على ساحل افريقية الشرقى الذى تربطه بعمان روابط عميقة منذ زمن بعيد ، فقد سبق أن ذكرنا أن حكام عمان الذين فروا من الزحف الأموى اتخذوا من الشرق الافريقى موطنا لهم ، وكان ذلك أساسا لصلات القربى بين هذين الموقعين .

وخطا ناصر خطوته الأولى نحو توحيد البلاد تحت قيادة واحدة والقضاء على حكام المناطق ، فاستجابت له البلاد ، والتفت تحت لوائه ، وتجمعت عمان تحت قيادة واحدة بعد فرقة طويلة ، واتجه ناصر عقب ذلك

---

(١) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة حـ ١ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

لمصارعة البرتغاليين الذين عاثوا بالبلاد ظلما ، ونهبوا خيراتها أكثر من مائة عام .

ومن الظروف التى ساعدت الامام ناصر فى نضاله ضد البرتغاليين الاتجاه الدينى ، فقد ظهر التعصب الصليبى فى تصرفات البرتغاليين وهذا دفع المسلمين للتجمع والحماسة فيما يمكن أن نسميه « الجهاد » ضد هذا الزحف الصليبى .

ومن الظروف كذلك ضياع منطقة هرمز من البرتغاليين وسقوطها فى يد أعدائهم .

ومن الظروف كذلك سوء معاملة البرتغاليين لكل المناطق التى نزلوا بها ، فقد اتسمت أساليبهم فى الحكم بالاستبداد والجور .

وقد انتهز ناصر هذه الظروف فأعلن — بعد توحيده البلاد — الحرب لاستقلال بلاده ، ولما كانت أجزاء كبيرة من عمان تابعة لهرمز وبالتالى للبرتغاليين ، فان هزيمة البرتغاليين فى هرمز دفعت الامام ناصر أن يعلن استقلال هذه الأجزاء ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن أهمها « صحار » وخاض ناصر حربا ضد الفرس الذين حاولوا أن يرثوا البرتغاليين فى سيطرتهم على البلاد فنجح فى تخليص جلفار « رأس الخيمة » منهم .

واتجه ناصر بعد ذلك لمواجهة البرتغاليين فى مراكزهم الرئيسية بعمان أى فى مسقط ومطرح ، وقد حاصرهم ناصر حصارا طويلا ، ولكن الحامية البرتغالية التى كانت متصلة بالبحر استطاعت أن تصمد لهذا الحصار ، فاضطر الامام أن يعقد صلحا يحقق له بعض الأهداف ، فعقد صلحا التزم فيه البرتغاليون بدفع الجزية لعمان ، وألا يعترضوا نشاطهم التجارى ، وأن يكفوا عن الاتيان بأية حركة عدائية ضد عرب عمان ، وأن يهدموا التحصينات التى أقاموها فى سمد وقريات[1] .

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان حـ ٢ ص ١١ .

وقد كسر هذا الصلح قوة البرتغاليون وأذلهم ، وترك ناصر لخليفته وابن عمه أن يجهز على هؤلاء الأعداء كما سنرى .

سلطان بن سيف

بويع سلطان بن سيف سلطانا على عمان عقب وفاة البطل ناصر ، وكان سلطان عونا لابن عمه فى أثناء حكمه ، ومن هنا كانت بيعته دفعة لاستمرار النضال الذى بدأه ناصر ، ومن الواضح أن البيعة لسلطان استمرار للفكر الاباضى الذى لا يمنع اختيار امامين أو أكثر من أسرة واحدة مادام ذلك هو رأى أهل الحل والعقد ، وكان سلطان جديرا بالثقة التى ارتبطت به .

واستمرارا للجهود التى بدأها ناصر استطاع أن يستعيد من البرتغاليين كل ما كان قد تبقى بأيديهم من عمان ، فطردهم سنة ١٦٥٨ من مسقط ومطرح .

ولم يكتف سلطان بذلك بل راح يتتبعهم فى المراكز الأخرى التى أنشئوها فى شرقى افريقية أو فى الهند ، ففى افريقية استطاع تخليص جزيرتى بمبا وزنجبار ، ثم اتجه لحصار ممبسة بناء على استغاثة أهلها ، وتلقى سلطان بن سيف رسالة سرية من أهل الصومال يشرحون فيها ما يعانونه من استعمار البرتغاليين المسيحيين ، فأرسل لهم جيشا كبيرا يقوده بطل اسمه سالم الصارمى ، وقد حقق هذا الجيش كثيرا من الانتصارات ضد البرتغاليين ، وطردهم من الصومال ولم يكن لسلطان عمان مطامع فى الصومال فغادرتها جيوشه عقب النصر بعد أن أسلمت الزمام للأهالى ، وهناك مخطوطة صومالية تصور النصر الذى أحرزه القائد العمانى كما تصور فرح الصوماليين بالاستقلال[1] .

وفى الهند وصل أسطول سلطان الى ساحل كوجرات بالهند واجتاحت عساكره (ديو) و (دامان) وقفلت بغنائم وافرة .

---

(١) اقرأ بعض ما جاء بها فى الجزء السادس من موسوعة التاريخ للمؤلف ص ٦٥٧ .

وكان سلطان بالاضافة الى قدراته العسكرية رجل تعمير ، فقد وجه همته الى ترويج التجارة وعمارة الأسواق ، كما كان حسن السيرة فى الرعية ، واتجه كذلك الى تجديد القلاع والحصون وجلب الأسلحة حتى يحافظ على استقلال البلاد ومكانها[١] .

سيف بن سلطان

بعد سلطان بن سيف تولى ابنه بلعرب السلطة فترة قصيرة ثم توفى فآلت السلطة الى سيف بن سلطان . وكان سيف من أبرز القادة والأئمة فى تاريخ اليعاربة ، وقد وجه عنايته للقضاء على البرتغاليين فى شرقى افريقية ، فخطا خطوة حاسمة حينما استولى سنة ١٦٩٨ على ممبسة التى كانت تعد عاصمة المستعمرات البرتغالية بشرقى افريقية . والتى عز الاستيلاء عليها على من سبقه ، وقد استلزم الاستيلاء عليها حصارا دام ثلاثة وثلاثين شهرا بسبب حصنها المنيع ، ولكن قوة العمانيين كانت أعظم من مناعته ، وقد وضع سقوط ممبسة نهاية لتفوق البرتغاليين فى شرقى افريقية[٢] وكان أساسا لانهيار آمالهم فى تلك المناطق .

واهتم سيف بالأسطول اهتماما كبيرا ، فقد كان الأسطول أهم وسائل الدفاع عن البلاد ، وأهم وسائل الهجوم على أعدائها ، وقد بلغ عدد سفن الأسطول ثمانية وعشرين سفينة كبيرة ، يحمل بعضها ثمانين مدفعا[٣] مما يدل على تقدم عمان فى فن الملاحة ، وعلى القدرة فى تسليح السفن ، وهو فن كان آنذاك جديدا .

وقد استطاع سيف بهذا الأسطول أن يحتل بعض الجزر القريبة من بومباى بالهند ، وأن يطرد البرتغاليين منها ، ومن بعض المدن التى كانت تحت سيطرتهم .

---

(١) سعيد باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٩ .
(٢) Caupland : East Africa and its Invaders p. 67.
(٣) السالمى : تحفة الأعيان حـ ٢ ص ٨٩ .

وكان سيف كأبيه محبا للعمران يصفة الأستاذ سعيد باوزير[1] بأنه كان بصيرا بالاصلاح ، شديد الاهتمام بمرافق البلاد ومصالحها ابتكر حفر القنوات تحت الأرض ليجلب الماء من الأعماق ، مما سبب تطور الزراعة ، واعتنى بغرس النخيل حتى أصبح محصولا يدر على الأهالى كثيرا من الثراء .

سلطان بن سيف (الثانى)

تولى سلطان بعد أبيه ويعتبر آخر الأئمة العظماء ، وقد استطاع أن ينزع البحرين من أيدى الفرس الذين كانوا قد استولوا عليها سنة ١٦٢٢ عند طرد البرتغاليين من هرمز .

من مآثر اليعـــاربة

أنشأ اليعاربة جيشا جرارا ضم حوالى ٩٠ر٠٠٠ مقاتل ، وأسطولا ضخما بلغ غاية مجده فى عهد سيف بن سلطان كما أشرنا من قبل ، وشيدوا القلاع والحصون فى كثير من المناطق الاستراتيجية ، واهتموا اهتماما بالغا ببناء البلاد وتعميرها بعد ما أحدثه البرتغاليون بها من اهمال ، وبعد التدمير الذى أصاب البلاد فى فترات الصراع ضد هذا العدو ، واهتم اليعاربة بالزراعة فأحيوا البرارى والقفار وغرسوا عشرات الألوف من الأشجار المثمرة ، وشقوا الأفلاج (مجارى المياه) وحققوا منجزات معمارية رائعة الفن الهندسى فى نزوى وجبرين ، وبسطوا أيدى العمل فى كل ناحية وأقاموا فى كل قصور جبرين مدرسة فتحت أبوابها لطلاب العلم من عمان ومن سواها من الأقطار ، وأشاعوا مناخات من الاستقرار والأمن أسهمت فى اشاعة الرخاء والتقدم والازدهار فى جميع مرافق الحياة .

---

(١) معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٧٠ .

دراسة الآثار المعمارية لليعاربة :

ولا شك أن آثار اليعاربة شيء يدعو للزهو والافتخار ، وهى جديرة بأن يعكف عليهـا الدارسـون والباحثون ليبرزوا ما بها من فن وقدرة معمارية ، ثم ليبرزوا ما كانت تحويه القصور من مجالس للعـلم وخدمة للمعـرفة ، وقد زرنا بعض هذه القصـور ، ووقفنا فيها وقفات إعجاب وتقـدير •

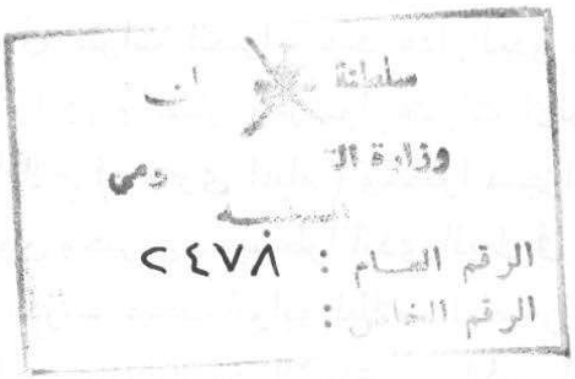

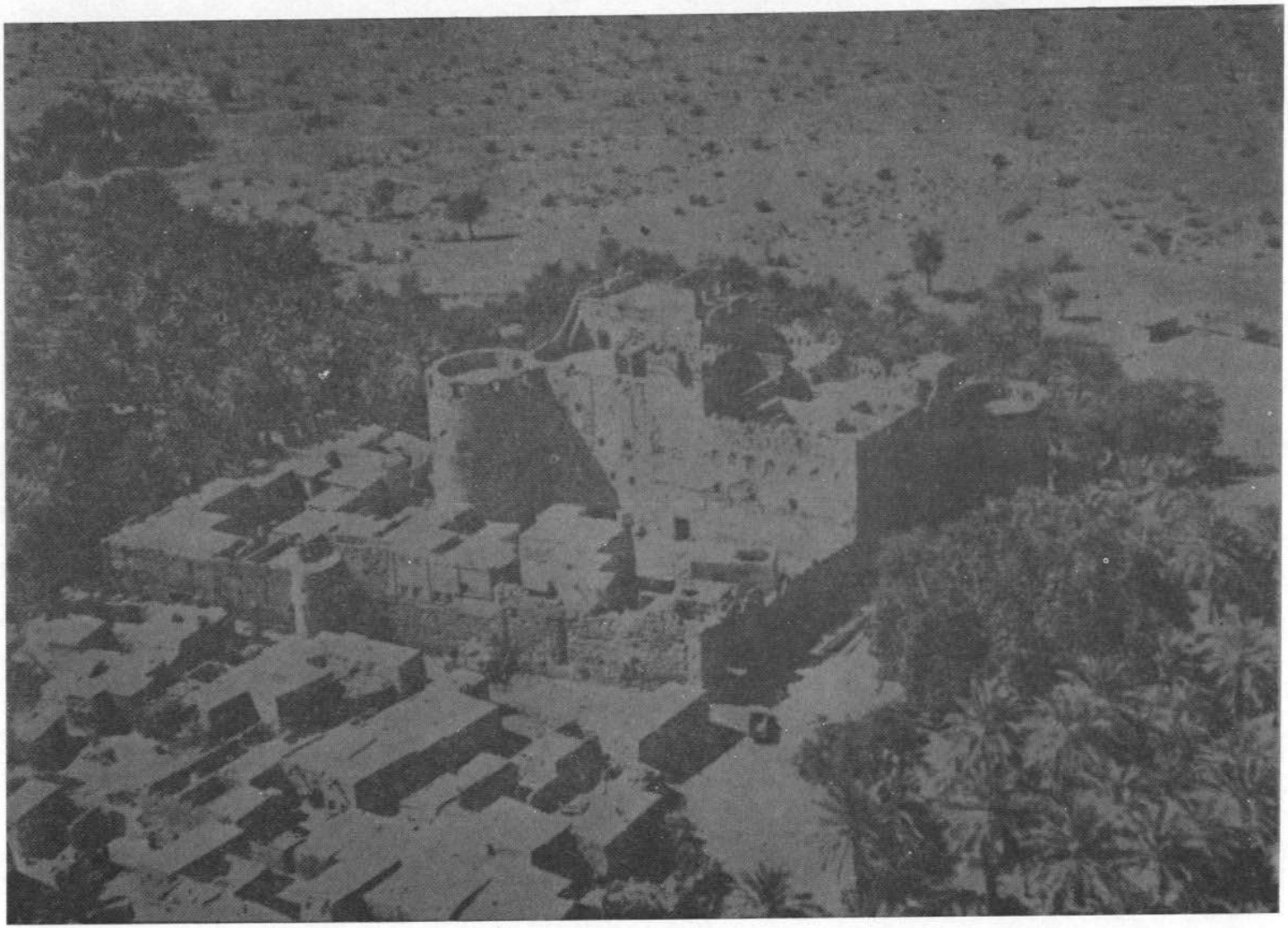

حصن جيرين : أحد حصون عمان الشهيرة

آل بوســـــعيد

١١٥٤هـ = ١٧٤١م حتى الآن

قبيلة آل بوســـعيد :

كان اهتمام قبيلة آل بوسعيد متجها للتجارة ، ثم دفعتها الكفـــاءة والظروف الى عالم السياسة فحققت شهرة عظيمة فى هذا المجال ، سواء فى الجزيرة العربية أو فى العالم الخارجى بوجه عام ، وسنتحدث فيما يلى عن نشأة هذه الأسرة المجيدة وعن أشهر سلاطينها :

المستشار أحمد بن سعيد :

شهدت السنوات الأخيرة من حكم اليعاربة اضطرابا واسع المدى فى عمان ، وقد كانت الأمور حول سيف بن سلطان الذى تولى الامامة ثلاث مرات حافلة بالأكدار والدسائس ، فأحس بحاجته الى مستشار يلجأ لرأيه كلما اشتد الأمر ، فذُكر له أحمد بن سعيد ، فقد كان شخصية موهوبة لامعة ، فعينه مستشارا له ، وعهد اليه بادارة ميناء صحار ذى الأهمية الكبرى ، ثم أصبح واليا لصحار ، وبدأ أحمد بن سعيد بذلك خطواته نحو المجد .

وفى الصراع الذى حدث فى أخريات أيام اليعـــاربة تقدم الفرس فاحتلوا جزءا من عمان ، وفى نفس الوقت مات قادة الصراع الداخلى وبقى فى الميدان أحمد بن سعيد ليحمل عبء طرد الفرس من البلاد وليعيد لها مكانتها وازدهارها .

أحمد بن سعيد يتزعم عمان :

نشط أحمد بن سعيد ليدافع عن بلاده ، وليعيد لها الوحدة والاستقلال وقد استطاع أن يحقق خطوات ثابتة فى هذا المجال ، فقد سار من صحار التى حافظ على استقلالها حتى حاصر مسقط ، وساعدته الظروف فقضى

على الحامية الفارسية ، وأصبح أحمد بن سعيد مؤسسا لأسرة آل بوسعيد . واجتمعت حوله الرايات .

وسلاطين أسرة آل بوسعيد بعمان هم :

أحمد بن سعيد	١١٥٤هـ = ١٧٤١م
سعيد بن أحمد	١١٨٨هـ = ١٧٤١م
حامد بن سعيد	١١٩٣هـ = ١٧٧٩م
سلطان بن أحمد	١٢٠٦هـ = ١٧٩١م
سعيد بن سلطان	١٢١٩هـ = ١٨٠٦م
ثوينى بن سعيد	١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م
سالم بن ثوينى	١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م
عزان بن قيس	١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م
تركى بن سعيد	١٢٨٧هـ = ١٨٧٠م
فيصل بن تركى	١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م
تيمور بن فيصل	١٣٣٢هـ = ١٩١٣م
سعيد بن تيمور	١٣٥١هـ = ١٩٣٢م
قابوس بن سعيد	١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م

البوسعيديون فى شرقى افريقية :

رأينا من قبل الجهود التى بذلها اليعاربة لطرد البرتغاليين من شرقى افريقية ، ولكن اليعاربة اكتفوا بالسلطة الاسمية على هذه المناطق لشدة ارتباطهم بالجزيرة العربية وحراسة أملاكهم بها ، وعينوا على المناطق الافريقية أمراء يحكمونها باسمهم ، فعينوا أسرة الحارث لجزيرة زنجبار ، وأسرة النبهانيين لحكم باتا ، وأسرة المعمودى لحكم ممبسة ، وتلتها أسرة

المزروعى ، وكانت هذه الأسر خاضعة خضوعا اسميا لأئمة عمان ، ولكن عندما انتهت أسرة اليعاربة فى عمان ، وقامت على أثرها أسرة بنى سعيد (البوسعيدية) اكتمل سلطان أئمة عمان على الساحل الافريقى ، وعلى الجزر المواجهة له ولم يقبل البوسعيديون أن ينافسهم الأمراء فى حكم هذه الجزر وبخاصة الأمراء من أسرة المزروعى الذين كانوا قد حاولوا الاستقلال بجزيرة ممبسة ، وقد بلغ من اهتمام البوسعيديين بافريقية أن نقل سعيد بن سلطان (١٨٠٦ — ١٨٥٦) عاصمة ملكه من مسقط الى زنجبار سنة ١٨٣٢ واستطاع سعيد أن يفرض العشور على التجارة الداخلية والخارجية وأن يجعل زنجبار مستودعا هائلا للتجارة ، تخزن فيه البضائع التى تأتى من أنحاء كثيرة بافريقية ، ومنها توزع على التجار العرب الذين يحملونها الى سواحل شبه الجزيرة ، والى المناطق المختلفة بآسيا وافريقية ، كما توزع على التجار الأوربيين والأمريكيين الذين يحملونها الى بلادهم[١] .

وبالاضافة الى الحركة التجارية والنشاط الاقتصادى اتسع نفوذ زنجبار السياسى فى عهد السلطان سعيد ، فشمل مسافة على الساحل تقدر بأكثر من ألف وستمائة كيلو متر ممتدة من جنوب مقدشو شمالا الى سفالة وتونجى جنوبا ، كما امتد نفوذه أيضا داخل القارة حتى وصل الى حدود الكونغو وأوغندا وروديسيا ، وانتشرت فى هذه الأجزاء كلها شبكة من خطوط القوافل تربط بين الساحل وبين شواطىء فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، وتابع سعيد توغله فى الأجزاء الشرقية من الكونغو وعلا صيته حول البحيرات العظمى حتى كان يقال : ان النـاس على شواطىء البحيرات يرقصون على أنغام زنجبار [٢] .

وعلى هذا فقد صادف السلطان سعيد نجاحا كبيرا على الرغم من أن

---

(١) دكتور صلاح العقاد ، والدكتور جمال قاسم : زنجبار ، وانظر موسوعة التاريخ الاسلامى للدكتور أحمد شلبى الجزء السـادس ص ٤٠٨ — ٤٠٩ .

(٢) See Ruete, R : Said Bin Sultan, Rulers of Oman and East Africa.

عصر الاستعمار الأوربى كان قد بدأ ، واتجهت القوى الأوربية لمصـارعة السلطان المسلم فى هذه المنطقة[1] .

وعقب وفاة السلطان سعيد انقسمت دولته الى سلطنتين مستقلتين احداهما افريقية حكمها ماجد بن السلطان سعيد ، والثانية آسيوية عاصمتها مسقط حكمها ثوينى بن السلطان سعيد .

تعريف بأشهر سلاطين البوسعيديين

تكلمنا فيما سبق بشىء من التفصيل عن أحمد بن سعيد مؤسس أسرة (آل بوسعيد) ويبقى بعده بعض سلاطين البوسعيديين جديرين بشىء من التفصيل كذلك وهؤلاء هم :

سلطان بن أحمد	(١٧٩١ — ١٨٠٤)
سعيد بن سلطان	(١٨٠٦ — ١٨٥٦)
قابوس (السلطان الحالى)	(١٩٧٠)

وفيما يلى كلمة عن كل من هؤلاء السلاطين :

سلطان بن أحمد :

عندما تولى سلطان بن أحمد جعل التوسع الخارجى سياسة ثابتة له ، وبدأ بالجزر المواجهة لساحل عمان وهى قشم وهرمز ، ثم بسط سلطته على الموانى المهمة فى ساحل مكران ، واستولى على مينائى شهبار وجواردوفر وبواسطة هذين الميناءين توثقت الصلات بين بلوخستان وبين عمان ، واستولى كذلك على بندر عباس ، وهكذا صارت دولة عمان فى عهد سلطان بن أحمد تتكون من عمان فى شبه جزيرة العرب ، ويضاف اليه عدة جزر وموان حتى حدود باكستان الحالية بالاضافة الى جزيرة زنجبار .

---

(١) دكتور عبد العزيز كامل : قضية كينيا ص ٢٢ وانظر الجزء السادس من موسوعة التاريخ للمؤلف ص ٤٠٩ .

وهذا التكوين الجغرافى لعمان استوجب أسطولا قويا ، وقد امتلك سلطان بن أحمد هذا الأسطول الذى ساعده على تحقيق انتصاراته البحرية الواسعة وعلى حماية دولته .

وبالاضافة الى هذه الانتصارات العسكرية والتوسع الخارجى يضيف المؤرخون الى سلطان بن أحمد فضلا عظيما فى المجال الحضارى ، فقد فتح الباب لألوان من التقدم والمدنية كانت بعيدة عن بلاده من قبل ، كما تعاون من العثمانيين على حماية البصرة من الفرس ، مما جعل له مكانة خاصة لدى الباب العالى .

سعيد بن سلطان :

عندما توفى سلطان بن أحمد سنة ١٨٠٤ كان ابنه سعيد فى مطلع الشباب وقد حاولت قوى متعددة أن تنتهز حداثة سنه ، ولكن سعيدا استطاع أن يتغلب على منافسيه ، وأن يمسك بزمام الأمور ، وقد وجه سعيد عنايته الى افريقية ، واسترد ما كان قد ضاع من الساحل خلال الصراعات التى سبقته ثم آثر سنة ١٨٣٢ أن ينتقل الى زنجبار ويتخذها عاصمة له وقد سبق أن تحدثنا عن جهود سعيد فى الســـــاحل الافريقى وعن المكانة السياسية والاقتصادية التى حققها هناك .

وكان سعيد معروفا بالتواضع يميل الى الشورى ، ولا يصدر حكما مهماً الا بعد اجتماع مجلس من الرؤساء والشيوخ للتشاور فى هذا الأمر ، وكان محبوبا لدى الرعية ، معظماً بينهم[1] .

وكان سعيد ذكيا مستنيرا حريصا على تنمية معلوماته والتعرف على أعمال الزعماء من معاصريه .

ويقول عنه الرحالة Wellested انه كان يحتفظ بكثير من الصفات

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام حـ ١ ص ٩ .

البدوية الأصيلة ، وكان يلبس لباس مواطنيه ، وكان يظهر فى الاحتفالات والمناسبات بدون المظاهر التى يحرص عليها السلاطين والملوك ، وكان يزور والدته يوميا كدليل على البر والتقدير[١] .

وتوفى السلطان سعيد سنة ١٨٥٦ وهو فى سفينة من مسقط الى زنجبار ودفن فى هذه الجزيرة ، كأن القدر أراد له أن يوارى جسده فى الجزيرة التى أحبها واستوطنها .

السلطان قابوس :

فى الثالث والعشرين من شهو يوليو سنة ١٩٧٠ انبثق فى عمان فجر جديد ، فقد تولى السلطان قابوس مقاليد الحكم فى البلاد .

وقد أخذ جلالة السلطان قابوس يعمل بسرعة هائلة ليدفع عمان الى النور الذى يليق بها ، وأسرع فى اقامة اصلاحات فى مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ورعى جلالته كل اتجاهات الحضارة ، رعى الفكر بالعلم والعقل بالوعى ، والنفس بالأمل والأمن ، فاذا كل شىء يبتهج واذا بالقطر يزهو ويزدهر .

وفى أكتوبر سنة ١٩٧١ دخلت سلطنة عمان جامعة الدول العربية ، ثم دخلت الأمم المتحدة ، وأقامت علاقات دبيلوماسية بينها وبين كثير من الدول العربية ومن دول العالم ، وأخذت تلعب دورها فى الحياة العربية والعالمية .

لقد كان قابوس نافذة نور لعمان ، وكانت يده تعمل فى كل مجال ، فى مجال التعليم ، وفى مجال الزراعة والمواصلات والتخطيط والتعمير والصحة وبناء الانسان العمانى بوجه عام ، ومن هنا فالسلطان قابوس

---

(١) Travels in Arabia vol. I, p. 5 ff.

يستحق تقدير المنصفين لأنه خطا أوسع الخطوات فى أقصر وقت ، وهو بهذا يفوق الكثيرين من الأنداد .

أما سياسة السلطان قابوس الخارجية فكانت مثالا فى الدقة والحكمة وبُعد الرأى ، فقد عمل لصالح بلاده فى علاقاته بالآخرين ، وجلالته يصف هذه السياسة بأنها سياسة تعيش فى الضوء ، وأنها تعمل لتحقيق آمال الشعب العمانى ، وآمال الأمة العربية والاسلامية .

وعلى هذا وقف جلالته كالطود الشامخ يتدارس المشكلات بعمق وأصالة ليضع بلاده فى الوضع الذى يخدم العروبة والاسلام ، وليستعيد لعمان ما كان لها من مجد تليد ، لقد رأت عمان فى عهـد السلطان قابوس أنضر عهودها فى كل اتجاه بارك الله له وهيأ الخير على يديه .

مشكلة المقاطعة الجنوبية « ظفار » :

تحكى المصادر العمانية الوثيقة قصة الصراع فى ظفار فتقول : انه عندما تسلم العهد الجديد بقيادة السلطان قابوس مقاليد الحكم وضع فى اعتباره حل المشاكل المختلفة ومن بينها مشكلة ظفار ، وكانت مشكلة ظفار قد ظهرت الى الوجود فى منتصف الستينات ولكن عندما قام السلطان قابوس بحركته التاريخية تهاوت كل القوى أمام عزمه من جانب ، وأمام الاصلاحات الميمونة التى قام بها من جانب آخر .

وفى العيد القومى لعمان فى نوفمبر سنة ١٩٧٦ ألقى السلطان قابوس فى احتفال ضخم عقد فى مدينة مسقط خطابا حافلا عدد المنجزات التى حققها والمشروعات التى ينوى السير فى تحقيقها وكان أهم ما حققته البلاد الانتصار الشامل على حركة ظفار والعمل بجد لاعادة البناء للديار التى خربتها هذه الحركة ، واعادة المهجّرين الى دورهم ، وتحدث السلطان كذلك عن النهضة التعليمية الكبرى بالبلاد ، وعن السير نحو ايجاد مكان لكل طفل بعمان فى

المدارس ، وعن الاهتمام بالجانب القومى فى التاريخ حتى يكون الجيل الجديد فخورا بما حققه أجدادهم من تطور وتقدم •

وتكلم السلطان عن مشروعات الصحة والاسكان والشباب والبترول ، فرسم للبلاد مستقبلا طيبا ، كما تحدث عن مشاركة عمان للدول العربية فى الجهود التى تبذل لتأييد الحق العربى بفلسطين ولخدمة قضية السلام بوجه عام •

والناظر الى عمان يحس أن نافذة عمان التى فتحها السلطان قابوس قد اتسعت ، وتتجه دائما الى مزيد من الاتساع ، والقافلة تسير •

حضارة عمان :

أول ما نبرزه أن عمان كانت الدولة الوحيدة بين الأقطار العربية التى كانت لها امتدادات خارج المنطقة العربية ، نالتها بحد السيف بعد أن طردت المستعمر الأوربى منها ، وبقيت عمان فى هذه البقاع برغبة سكانها لتحميهم من أطماع الغرب التى بدأت تظهر عقب طرد البرتغال •

وصلة أهل عمان بشرقى افريقيا تحتاج لمزيد من الدراسة ، فان عمان اتصلت بهذه المنطقة من وقت مبكر يرجع الى فترة الصراع بين العمانيين ، وبين الدولة الأموية كما ذكرنا من قبل ، فقد هاجر آنذاك عدد من العمانيين ونزلوا شرقى افريقية التى كانت منذ عهود سحيقة معروفة لأهل عمان •

ولما احتلت البرتغال بعض عمان احتلت كذلك منطقة شرقى افريقية ، فلما طرد العمانيون البرتغاليين من أراضيهم أدركوا أن نجاحهم لا يتم بدون طرد البرتغاليين من الساحل الافريقى ، وقد تمكن الأئمة اليعاربة من ذلك كما رأينا من قبل ، ثم أصبحت منطقة شرقى افريقية جزءا من مملكة عمان •

وخلال فترة العلاقات الطويلة بين عمان وبين شرقى افريقية لعب

العمانيون دورا هاما حضاريا هائلا فى شرقى افريقية بوجه خاص ، وفى قلب افريقية بوجه عام فقد كانت الحياة فى افريقية خاضعة لحكم الغاب ، فكانت السيطرة للأقوياء وكان الضعاف عبيدا لا يملكون حولا ولا طولا ، كما كانوا لا يعرفون ديناً ولا حضارة .

فلما دخل الرجل العمانى هناك نشر الاسلام ، ونشر العدالة ، وشق الطرق ، وبنى المساجد والمدارس ، وجعل الأمن مستتبا ، فانتقل بذلك الأفارقة من حال الى حال ، وعرفوا الاخاء والحب ، وحقوق الانسان وغير ذلك من صور المعاملة التى لم يشاهدها الأفارقة الا على يد العمانيين .

ومما يذكر لعمان بكثير من الفخر أنها قاومت البرتغاليين بدون معونة من أحد ، وهى بهذا تعد فى صفوف الدول التى حطمت بالسيف قوى المستعمر الغاشم وأذلته وألزمته أحيانا أن يدفع الجزية وأحيانا يستسلم .

ومن المواقف الحضارية التى تحسب لعمان دورها التجارى العظيم فى دنيا ذلك الزمان ، فقد غطت تجارتها أكثر دول آسيا وافريقية ، وكانت لها السيطرة على أكثر بحار هذه المناطق كما كانت لها مراكز تجارية على جميع السواحل التى يرسو بها أسطولها التجارى العظيم ، وقد استدعت هذه الحركة التجارية النشطة تطهير ساحل ملبار من القراصنة الذين ينتمون الى مختلف الجنسيات الآسيوية والأوربية ، وهكذا سبق العمانيون الانجليز الى تلك السياسة التى ترمى الى تأمين الملاحة التجارية فى المحيط الهندى[1] .

وكانت الجوانب الحضارية بافريقية تسير دائما مع الجهود الاقتصادية فقد برزت هذه الجوانب الحضارية ليس فقط فى افريقية ، بل فى مناطق مختلفة من الهند وبعض سواحل الصين .

وقد انجبت عمان صفوة ممتازة من الناس فى مختلف نواحى المجد فمنهم

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان حـ ١ ص ١٠ وما بعدها .

الابطال ، ومنهم العلماء والقادة ، وفى قمة الأبطال العمانيين الذين عرفهم التاريخ الاسلامى المهلب بن أبى صفرة ، ومن علمائها صحار العبدى صاحب الخلفاء الراشدين ، وكعب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، والخليل بن أحمد الفراهيدى واضع علم العروض وصاحب كتاب العين ، ومن خطبائها صعصعة بن صوحان ، ومن أجوادها مرة بن الوليد ، ويقال : انه لم يكن فى الأرض أجود منه وكان رسول المهلب الى الحجـــاج ، من فصحائها بشر بن المغيرة ، ولم يكن فى الأرض أنطق منه ، ومنهم الربيع بن حبيب الفراهيدى وكان يضرب به المثل فى العلم ، ومنهم أبو حمزة الشارى وهو من بنى سليمة ، ومنهم أبو بكر أحمد بن دريد صاحب كتاب الجمهرة ، ومنهم أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل وكثيرون جدا غيرهم ممن ذاع صيتهم فى ميادين السياسة والبطولة والعلم •

وقد عرف التاريخ مجموعة عظيمة من نساء مسقط شاركن بنصيب كبير فى النشاط السياسى والاجتماعى ، ومن هؤلاء السيدة معازة التى كانت وصية على سالم وسعيد ابنى سلطان بن أحمد فأحسنت قيادة الأمر ، وظهرت كثيرات من النساء على رأس الثورات التى كانت تشتعل أحيانا ، وكان حجاب النساء فى مسقط أقل مما كان عليه فى البلدان العربية الأخرى[١] •

ويشتهر سكان عمان بالنظافة وسماحة الخلق ، وقد كان هذا الاتجاه مما لفت أنظار الرحالة الأوربيين فقال Buckingham أنهم أنظف وأشد رقة وأكثر أناقة من جميع العرب الذين صادفهم فى رحلاته[٢] •

---

(١) Bohem : The Persian Gulf p. 6.

(٢) Travels in Assyria, Media and Persia vol. 2, p. 413.